**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة محمد لمين دباغين-سطيف02** **كلية الآداب واللغات**

**قسم اللغة والأدب العربي** **التخصص: دراسات أدبية**

**السنة: الثانية ليسانس** **السداسي: الرابع**

**المادة: الحداثة في الأدب العربي**

**المحاضرة الخامسة: "بيان الحداثة العربية عند بنيس"**

يبدو لنا أن نظرية الحداثة الأدبية تبقى ناقصة نوعا ما على النحو الذي تم به إيضاحها، إلا إذا أضفنا إلى صوت أدونيس في المشرق العربي صوتا عربيا آخر من المغرب الأقصى، يمثل نداء الحداثة وصرختها في مغرب الوطن العربي، وهو صوت "محمد بنيس" الذي أصدر "بيان الحداثة" في كتاب بعنوان: "حداثة السؤال".

فالحداثة عند "محمد بنيس" قناعة راسخة، وضرورة وحتمية، وهي عنده قائمة على السؤال، السؤال حول كل شيء، كأنك تريد أن تعرف الأشياء من جديد، ولأول مرة. الحداثة بهذا المعنى سؤال المعرفة الدائم الذي لا ينتهي، ولا يصل فيه، أو به، الإنسان إلى إجابات نهائية، فليس هناك ما هو "مطلق"، وليس هناك ما هو نهائي، بل إن لهب السؤال يظل دوما منبعثا، باحثا مقتربا من السري والعلني الذي كما يقول بنيس، "يسيحنا، الذي نخشاه صبورين قانعين، وللطيعين عذابهم أيضا! هوالاقتراب ممكن، إذا، ونحن نعلم أن المعاني يكاد المحو يبلغها، تتجاوب مهما تجافت"[1].

الحداثة عند بنيس إذن قائمة على السؤال، والسؤال في قلب كل قضية وأمر ومشكلة، هو السؤال المستمر حتى بالنسبة للأشياء التي صارت عندنا بديهية. ولذا فالحداثة سؤال ملح، وهو "السؤال مرتفع أو هاوية، مغامرة تصاحب التشظي، رحم تتكون فيه العين الأخرى، هذا الممكن الذي به نكتب، نتعلم كيف تكون الطرق، وكيف ينشق المسار"[2].

إن الكتابة إبداع، والإبداع مشروع حضاري على نحو ما بين ذلك "منذر عياشي" حين يقول: "إن الإبداع مشروع حضاري، ولا يمكن أن يتم ما لم تكن المكونات الحضارية هي صانعة المكونات الفنية المستخدمة فيه"[3]. وهذا الإبداع –

---

[1]- محمد بنيس: حداثة السؤال، ص 09-10.

[2]- المرجع نفسه، ص 10.

[3]- المرجع نفسه، ص 10.

المشروع يقتضي ضرورات "من حيث هو كينونة لغوية لا تتوقف عن أن تصير، ومن حيث هي وجود كتابي لا يكف عن الولادة في كتابات أخرى كثيرة لا تتناهى"[4].

وفي بيان الحداثة الذي يضمنه "بنيس" كتابه "حداثة السؤال"، يصب جام غضبه، ونقده اللاذع على الشعر المغربي المكتوب باللغة العربية الفصحى، فبين كيف أن ذلك الشعر لم يستطيع طوال تاريخه أن يمتلك "فاعلية الإبداع". تلك الفاعلية التي من شأنها أن توفر المتعة في الشعر، كتابة وقراءة، ذلك أن المتعة فعاليتان: " تنطلق منهما كل عملية إبداعية: الأولى، وهي فعالية القراءة، والثانية، وهي فعالية الكتابة... فالقراءة لا تنفك بدورها تدور في فلك الكتابة، بل هي كتابة ولكن بطريقة أخرى"[5]. وكل فعالية من هاتين الفعاليتين ترتبط بالأخرى. هذا الأمر لا يتوفر في الشعر العربي على الإطلاق على نحو ما يبين "بنيس"؛ إذ يقول: "لم يستطع الشعر المغربي المكتوب بالعربية الفصحى طوال تاريخه أن يمتلك فاعلية الإبداع، أي القدرة على تركيب نص مغاير يخترق الجاهز المغلق المستبد، إلا في حدود مساحة مغلقة إلى الآن. وها هو الآن مبعد عن القراءة، منسي بين رفوف المكتبات العامة والخاصة، وقد تحول إلى مادة متحفية..."[6].

إنها حرب قاسية يعلنها "بنيس" على الكتابة الأدبية التي تعيد إنتاج النمط والنموذج، وتجتر الماضي، ومعاييره وشروطه، ضمن تجربة بليدة ليس فيها طموح ولا إبداع ولا تجاوز كما يتصور. بينما الحداثة والإبداع يقتضيان "الخرق المستمر" لقواعد السلطة الأدبية المكرسة أبدا لإعادة إنتاج الأنماط السائدة تدعيما لأوضاع قائمة، ولثقافة باردة ومتكلسة. ولذا نجد "بنيس" يذهب إلى أبعد الحدود في نعته للشعر المغربي بأوصاف تبعده عن عصره، وتجعله ركاما وبلادة، بل هو العفن يملأ الدنيا نشازا. يقول عن هذا الشعر: "هو الشعر المكدس في الكتب والمقررات الرسمية، ينكفئ على موته الدائم، يختلي برودته وتكلسه، لا سؤال لديه ولا جواب، لا حنين ولا كشف ولا مغامرة، ركام البلادة والعفن، صكوك الإدانة، هذه وظيفته: محق، تكريس، قهر، ونفاية. هل نسميه بعد كل هذا شعر؟"[7].

الكتابة إذن نفي لكل سلطة، وينبغي أن تكون كذلك لتكون إبداعا، ولتكون فعلا خلاقا، وتوق إلى اللانهائي واللامحدود، وهي إلى ذلك عشق شهواني مفتوح للحياة. فالكتابة الحداثية بهذا المعنى كتابة التحول، وهي نفي لكل نمطية، أي ضد كل نمطية قبلية، وضد كل نموذج مسبق، وضد ترسيخ الوهم، وضد استنساخ السابق، وضد الاستمرار السلبي لصوت الموتى، وهي اكتشاف وكشف للمبهم والمفاجئ، والمنسي، والسكوت عنه. إنها كتابة مضادة، وإبداع مضاد، وبحث عن اختراق الممنوع والمحرم زيفا. إنها الكتابة الحداثية، الكتابة المضادة، البادئة بالعصيان والدهشة، والباهرة دوما، التي هي

---

[4]- المرجع نفسه، ص 10.

[5]- المرجع السابق، ص 10.

[6]- المرجع نفسه، ص 20.

[7]- المرجع نفسه، ص 20.

دوما استقدام لما لم يوجد بعد، والتي تمنح لغة إمكانية التجدد، وللذات حق متعتها، وللمجتمع فسحة ابتكار علائقه وقيمه التحررية.

وإذا كانت القاعدة الأولى للكتابة الحداثية هي أن تكون الكتابة الأدبية نفيا لكل سلطة، وأن تكون مغامرة لا بداية لها ولا نهاية، فإن القاعدة الثانية للإبداع والكتابة على وجه الخصوص كما يرى "بنيس" هي النقد، فالنقد عنده أساس كل إبداع، وبه تلغى كل قناعة سابقة، القول بالنقد، والقبول به، والعمل به، إلغاء للقناعات الراسخة المسبقة، وهو العامل على التحول والمراجعة والتخطي دوما باتجاه جديد، وطريق مغاير ومحتمل. فالنقد هنا معناه تجاوز ما استقر وصار ثابتا، "النقد محاصرة للذاكرة كمرتكز لكل كلام وأصل..."[8]

[8]- المرجع السابق، ص 39.